رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (4168) السنة الخامسة عشرة - الأربعاء (4) نيسان 2018

WWW. almadasupplements.com

خالد حسيني

الروائي الأفغاني خالد حسيني:

لا أجـري بحوثاً مسـبقة لأعمالي، كلّ ما أفعله هو أنّني أكتب ما سبق أن تمثّلته

خالد حسيني: روائي وطبيب أفغاني الأصل يحمل الجنسية الأميركية ويقيم حالياً في الولايات المتحدة. ولد حسيني في العاصمة الأفغانية كابول عام ١٩٦٥ لأب مسلم معتدل يعمل دبلوماسياً في وزارة العلاقات الخارجية الأفغانية وأم تعمل مدرّسة للغة الفارسية في مدرسة ثانوية للبنات، وانتقلت عائلته عام ١٩٧٠ إلى إيران ثم عادت إلى أفغانستان عام ١٩٧٣.

ترجمة وتقديم: لطفية الدليمي

وفي عام ١٩٧٦ انتقلت العائلة إلى باريس بعد حصول والده على وظيفة دبلوماسية في السفارة الأفغانية هناك ولم يكن بمستطاع العائلة العودة إلى أفغانستان بعد انفجار ثورة نيسان ١٩٧٨ وصعود حزب الشعب الديمقراطي للسلطة، وبعد وقت قصير من الغزو السوفييتي لأفغانستان، طلبت عائلة حسيني اللجوء السياسي الى اميركا وحصلت عليه واستقرّت في مدينة سان خوسيه- بولاية كاليفورنيا - وفيها أكمل حسيني دراسته الثانوية ثم حصل بعدها على شهادة البكالوريوس في البيولوجيا عام ١٩٨٨ تمهيداً لدراسة الطب الذي حصل على شهادته عام ١٩٩٣ من جامعة كاليفورنيا في سان دييغو. مارس حسيني الطب على مدى عشر سنوات ونصف السنة، حتى نشر روايته الأولى (عدّاء الطيارة الورقية) عام ٢٠٠٣ حيث قرّر بعدها - في إثر النجاح الهائل لروايته – أن ينصرف عن مهنة الطب و يتفرغ تماماً للكتابة. نشر حسيني بعد روايته الأولى روايتين لاقتا ذات الانتشار: (ألف شمس ساطعة) عام ٢٠٠٧، و (وردّت الجبال الصدى) عام ٢٠١٣.

لم يعد حسيني إلى أفغانستان حتى عام ٢٠٠٣ وقد بلغ الثامنة والثلاثين ويعلّق على ذلك أنه "شعر كما لو كان سائحاً في وطنه الأم". كما قال في حوار معه لاحقاً "إنه شعر بذلك الذنب الذي يجتاح الناجين بعد موت معارفهم لأنه استطاع مغادرة أفغانستان قبل الغزو السوفييتي وما تلاه من حروب مدمّرة لاحقة".

يقول حسيني في وصف أوضاع أفغانستان عندما كان صبياً: "لم أشعر يوماً أن أختي ريا Raya قد عانت من تمييز ما بسبب كونها انثى، وإن العاصمة ذاتها كانت حاضرة نامية متدفقة بسمات كوسموبوليتية فاتنة".

تتّسم أعمال حسيني بأنّها أفغانية خالصة تتناول حيوات شخصيات أفغانية بالبحث و التدقيق في جزئيات محدّدة: ففي روايته الأولى "عداء الطيارة الورقية" يتناول الصداقة بين صبيين من كابول تتعقّد العلاقة بينهما وتنقلب علاقة إشكالية خطيرة، وفي روايته الثانية "ألف شمس ساطعة" يتناول حياة إمرأتين أفغانيّتين مع عاشقيهما في مواجهة ثلاثين سنة من الرضوخ في ظل حكومات مضطربة، وفي روايته الثالثة "وردّت الجبال الصدى" ثمة حكايات عديدة متداخلة في عمل واحد: إخوة ينفصلون عن بعضهم مبكّراً ثم تكون لكل منهم قصة ومسار مختلفان عن الاخر.

ذات التجربة التي لدى إحدى شخصيات رواياتي: الطبيب و إبن عمّه اللذان يعودان إلى كابول ويتملكهما شعور عصبي على الوصف عندما تقترب الطائرة من كابول وهي ذات المدينة التي ولدت و تعلّمت فيها المشي وبواكير القراءة. بعد أن عدت الى أفغانستان عام ٢٠٠٣ كنت أمشي في الشوارع وأرى الناس وأتحدث معهم بلغتهم، ولكن هذا لا يمنع من أنني كنت أرى نفسي بينهم لا منتمياً outsider : كان بإمكاني الشعور بهذا وكان الأفغان يكادون أن يشمّوا ما أشعر به بشكل مباشر، فقد كانوا يرون في كمن كسب مسابقة اليانصيب الجيني بسبب أنني ولدت في عائلة لأبوين مثقّفين قيّض لهما أن يغادرا البلاد في الوقت المناسب قبل أن تجثم عليها كوارث الاحتلال و الحروب المدمّرة. هناك إحساس ما بالذنب، فربما لم يكن المرء يستحق المستقبل الجيد الذي حظي به و هذا هو الأساس و الدافع في كل ما كتبت عنه.

– ربّما كان هذا هو السبب وراء اختيارك الكتابة عن موضوعات أفغانية خالصة. هل ترى في هذا نوعاً من ردّ الدين لبلدك؟

•كم كان بودّي أن أعطيك جواباً نزيهاً ودقيقاً. كان في إمكاني أن أقول لك : نعم، ولكن هذا لن يكون جواباً صادقاً أبداً. أنا أكتب لأنني لا أستطيع مقاومة الرغبة في الكتابة: فقد أكون مفتوناً بحكاية أو شخصية أو حالة و ليس بوسعي أن اتركها، ثمّ وبعدها أبدأ التساؤل ما الذي سيحدث وكيف ستتطوّر الأحداث؟ وما الكشوفات التي تحققها هذه الأعمال بخصوص حياة الناس، وهذه هي بالضبط عناصر عدّتي الكتابية. يمكن للكتب أن تكون نوافذنا على العالم وأن تخدم للتقريب بين البشر رغم أنني عندما أكتب لا أفكر أبداً أن أمد جسراً على الفجوة بين العالم الغربي الذي أعيش فيه و البلاد التي قدمت منها، كما انني لا أريد أن أكون معلّماً لأحد، ولكن يحصل في العادة أن تكون هذه الأمور نواتج عرضية byproducts لفعل الكتابة.

– يبدو أنك تبذل قدراً مفرطاً من الجهد عند كتابة أعمالك. كم من الوقت تمكث في "حجر الأرنب" عندما تنطلق في كتابة عمل ما؟

•يحصل أحياناً انني أقضي ستة أسابيع لأكتب ٧٥ صفحة، ثم أكتشف بعدها أنّها لا تصلح، فألقي بها في سلة المهملات، ثم أعود إلى نقطة البدء من جديد بعد أن أكون قد عرفت ما هو الخطأ في المحاولة الأولى، ثم أختار مسلكاً مغايراً عن الأول وأمضي في عملي.

– واحدة من أهم ميزات أعمالك هي الجرعة المفرطة من الهزّة العاطفية التي تنشأ عنها. هل تعاني ألماً ما عند كتابة أعمالك؟

•ما لم يختبر الكاتب ذات الألم الذي تعانيه شخصياته الروائية فلن يوجد قارئ ليختبر هذا الألم عند قراءة الرواية، وأعتقد في هذا بكل صدق : فإذا لم يهتز كاتب ما وجدانياً بمواقف شخصياته فلن يهتز قارئ ما لما يحصل لهم. إذا قال لك قارئ ما لرواياتي بأنه اهتزّ وجدانياً لأسبوع فاعلم أنني عانيت مثلما عانى مضاعفاً مرات عديدة، لأنني في الغالب أمضي سنتين أو ثلاثاً في كتابة أي عمل من أعمالي، وكل شخصية فيها تعيش معي يوماً بيوم وتستحيل جزءاً من حياتي، ومازلت أذكر التجربة المرّة التي عانيتها عندما مات (بابا Baba) في روايتي الأولى "عدّاء الطيارة الورقية".

– لو أنك مكثت في أفغانستان ولم تغادرها، هل كان بوسعك أن تنجز الأعمال التي أنجزت؟ ما الذي علّمتك الحياة في الولايات المتحدة في ما يخص الحياة في أفغانستان؟

•وجهة نظري في هذه الموضوعة هي وجهة نظر أي أفغاني منفيّ: لو أنني مكثت في أفغانستان وكانت لديّ موهبة ما في الكتابة لكتبت أعمالاً بالتأكيد، ولكنها كانت ستكون مختلفة عمّا كتبت حتماً. وجهة نظري اليوم هي وجهة نظر الماكثين في الشتات Diaspora من الذين ابتعدوا عن بلدانهم ولكنهم كانوا على الدوام موسومين بتأثيرات بلدانهم ولو على البعد وهذا ليس شيئاً خاصاً بي، فالكثير من الكتّاب كانت لديهم تجربة الكتابة عن بلدانهم من بُعد رغم أنهم غادروها ومكثوا في المنفى أكثر بكثير ممّا فعلت ولعلهم لم يعودوا لبلدانهم أبداً منذ أن غادروها.

– كيف أمكنك توظيف السرد الأنثوي بكفاءة مميّزة في رواياتك رغم أنك نشأت وسط مجتمع ذي نزعة هيمنة ذكورية قاسية؟

•راودني هذا السؤال كثيراً عندما شرعت في كتابة روايتي الثانية "ألف شمس ساطعة" و قرّرت منذ البدء أنه لن يكون ملائماً أن اتخيّل كيف يكون الأمر لو كنت امرأة بل الأفضل هو أن أفهم ذاتي وهو الأمر الذي سيساعدني في فهم جوهر الشخصية التي كنت أنوي الكتابة عنها: ما الذي تخافه هذه الشخصية بصرف النظر عن خلفيّتها الجندرية؟ ما الذي تريد تحقيقه؟ ما رغبتها العظمى في هذه الحياة؟. عندما أفهم كل شخصية: ماهيّتها، احتياجاتها الأساسية، مخاوفها، شغفها.. أتمكن من عرضها بطريقة أكثر صدقاً ومقبولية رجلاً كانت أم امرأة.

– رواياتك الأولى "عدّاء الطيارة الورقية" هي النافذة الأولى التي أطلّ منها الأميركيون على الحياة الأفغانية وتأريخ أفغانستان الحديث. ما الذي ترى فيه خطأ فادحاً في التصور لدى الأفغان في ما يخص الأميركان اليوم؟

•أعتقد أن من أهم الأخطاء الشائعة هي أن الأفغان ينظرون إلى الوجود الأميركي على أساس أنه احتلال، فهذا هو عكس الواقع تماماً، بل على العكس، أعتقد أن الكثير من الأفغان ينظرون بتعاطف كبير إلى وجود القوات الأميركية وقوات حلف الناتو ويرون فيها قوة موازنة برغم بعض السلوكيات الخاطئة أحياناً نتيجة عمليات القصف الناجمة عن الغارات الليلية من جهة والافتقار إلى الحساسية الثقافية الملائمة للأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع الافغاني من جهة ثانية، ولكن مع كل هذه الأخطاء يبقى ثمة فارق كبير بين طريقة تعامل الأفغان مع الاميركان وبين طريقة تعاملهم مع السوفييت من قبل، إذ ليس من مجال لعقد أية مقارنة. يقال أحياناً في الصحافة، إنّ أفغانستان قابعة في جبّ الظلمات الذي يمتد إلى القرن الثاني عشر، ولكن هذا يتناقض تماما مع ما رأيته: أرى في أفغانستان اليوم أمة ناشئة تضم ٥٥٪ من السكان الذين هم دون سن الخامسة والعشرين، وأرى التقنيات فيها – وبخاصة في ميدان الاتصالات البعيدة والتقنيات المعلوماتية – تتصاعد على نحو انفجاري، إذ يوجد ثمة ١٢ مليون هاتف خليوي، وأرى أجيالاً تتواصل مع العالم الحديث عبر التعليم والتكنولوجيا، وأرى صحافة حرّة أيضاً، ولا يتقوّ ما لمسته مع المشاهد السائدة عن بقاع نائية في كابول تنتشر فيها منازل بائسة غارقة وسط الطين وتتمشى فيها نساء ملفّعات بالبرقع.

– أخبرنا شيئاً عن طريقتك في الكتابة؟

•عندما أنشغل في كتابة مخطوطة ما، أوصل أطفالي أولاً إلى المدرسة في الثامنة صباحاً وأعود لممارسة بعض الرياضة ثم أجلس إلى طاولة الكتابة عند التاسعة والنصف صباحاً. أكتب في العادة على جهاز الكومبيوتر في مكتبي الصغير، وأواصل الكتابة حتى الثانية بعد الظهر، حيث يتوجّب عليّ الذهاب لجلب أطفالي من المدرسة وحينها أصير أباً بوقت كامل وحينها لا أعود أفكر بكتابة أي شيء.

– كيف تقارب حكاياتك: هل تفعل مثلما يفعل الصحافي أم أنّك تسجّل ملخّصات وملاحظات لتبني في ضوئها رواياتك؟

•كلاّ. لم ألجأ أبداً إلى البحث المسبّق، وكلّ ما أفعله هو أنّي أكتب ما سبق لي أن تمثّلته في روحي. ذهبت عام ٢٠٠٣ – كمثال لما أقول – إلى أفغانستان بدافعي الذاتي المحض وأردت أن أتعرف الى ماجرى في العقود السابقة وبخاصة في جانب البعد الإنساني للحكاية التي كنت أنوي كتابتها آنذاك، وقد ظل الكثير ممّا سمعت من الحكايات في ذاكرتي ومنذ ذلك الحين و أنا كثير التردد إلى أفغانستان عن طريق عملي الرسمي مع وكالة الأمم المتحدة للاجئين، وفي جميع زياراتي تهيّأت لي فرص ثمينة للإنصات لحكايات صارت لاحقاً بمثابة العمود الفقري لرواياتي.

– عندما تشاهد – كل مرة تزور فيها أفغانستان هذا القدر الكبير من المعاناة، هل تشعر بالذنب لأنّك غادرت البلاد مبكراً؟

• لاشك في هذا، وأرى أنني كنت الشخص الأكثر حظاً القادم من البلاد الأقل حظاً في العالم وأحسب أن لديّ

ورددت الجبال الصدى

ترجمة: عبد الخالق علي

بعد كتاب "عدّاء الطائرة الورقية" وكتاب "ألف شمس ساطعة" التي بيعت منهما ٣٨ مليون نسخة، كان على المؤلف أن يتعمق أكثر بالكتاب الثالث.

لم يكن المستقبل المهني لخالد حسيني، الأفغاني الأميركي، خصباً كمؤلف روايات – هذا هو كتابه الثالث فقط على مدى عشر سنوات – لكنه عوّض بها من حيث التأثير في القارئ. مبيعات الكتابين الأولين – "مسيّر الطائرة الورقية" و "ألف شمس ساطعة" – تجاوزت ٣٨ مليون نسخة في انحاء العالم. هذه القصص، المكتوبة بأسلوب جميل عن التأريخ الدموي لوطنه الأم على مدى ستين عاماً، أكسبته باستحقاق شهرة ككاتب قصص عظيم.

يعيش عبدالله ذو السنوات العشر وشقيقته المحبوبة باري (فيري بالفارسية) مع ابيهما (صبور) وزوجة ابيهما وأخيهما غير الشقيق في قرية شاباغ الصغيرة. يمارس أبوهما أعمالاً يدوية كلما سنحت له الفرصة، لذا فإن مكسبه لم يكد يكفيهم. في خريف عام ١٩٥٢، ومع انتظار مولود آخر وشتاء قاس، كان سابور يائساً، فتوصل الى قرار رهيب. على سابور أن يضحّي لإنقاذ عائلته، وهكذا كان؛ ففي أحد الأيام وجد عبدالله وباري نفسيهما يسيران مع أبيهما عبر صحراء كابل. عندما وصلا الى منزل زوجين غنيين لا أطفال لهما، حيث يعمل العم نابي طباخاً وسائقاً، أدرك عبدالله مرعوباً بأنه سيفقد أغلى انسان عنده، حيث سيتبنّى السيد والسيدة (وهدتي) شقيقته باري و لن يراها بعد اليوم.

في هذه النقطة من القصة، قد يتوقع قرّاء حسيني قصة جر حبل مقنعة من الحب يعاني فيها الشقيقان المنحوسان في محاولتهما البقاء معاً، مع نهاية سعيدة أو شبه سعيدة، عندما ينقطع خيط القصة ويذهب الكاتب الى مكان آخر.

لا يكمن تركيز حسيني كثيراً في اصلاح أعمال صبور كما هي الحال في استكشاف عواقبها، وهذا يشركنا في شبكة جماعية من الشخصيات الجديدة والروايات التي تنسج ذهاباً وإياباً في الزمان والمكان. إنه أولاً يمسرح تاريخ زوجة الأب التي تخفي السر الرهيب لخيار قامت به يوماً ما. بعدها، ومن خلال طريقة قراءة رسالة عند وفاته في ٢٠١٠، لا يفسر نابي فقط كيف أنه – من أجل حب السيدة وهداتي – قد توسط في قرار التبنّي، بل يصف أيضاً الكثير من الأحداث التي نتجت عن ذلك.

يمكن القول إن نيلا وهداتي، نصف الفرنسية، هي اكثر الشخصيات الفاتنة في الكتاب، امرأة حسّاسة لكنها محطمة عاطفياً، ترتدي ملابس غريبة وتضع مكياجاً، اضافة الى انها تكتب شعراً مشحوناً بالجنس. يعتبر مجتمع كابول أنها تجاوزت الحدود. بعد أن يُصاب زوجها بسكتة دماغية، تهاجر مع باري الى فرنسا، حيث تتجلّى – فيما بعد – قصة أخرى.

مع إننا نعرف أن متاعب العهود المتعاقبة لاتزال تعمل وراء الستار، فإن هذه ليست رواية عن السياسة الأفغانية، وقد قال المؤلف في مكان آخر، بأنه يقاوم فكرة كونه "يحمل راية" أو "يكون صوتاً" لوطنه. إن ما يهتم به هذه المرة هو الإنسان والشخصية، وقد قال هذا في مقطع عن اثنين من أبناء العمومة المنفيين يعيشان حياة متميزة في اميركا يزوران كابول للمطالبة بمنزل العائلة. إنه يقدّم بعض التعليقات الجانبية اللطيفة عن المشاعر المتعالية لبعض العائدين بصفة "سيّاح". في تناقض حاد، يعود عبدالله و الأخت غير الشقيقة لباري – إقبال – بعد سنوات من الحرمان في أحد المجمعات الباكستانية، ليجدا أن سكن العائلة قد تم هدمه واعيد بناؤه من قبل أحد بارونات المخدّرات.

يكمن جزء من فاعلية حسيني كراوٍ للقصص في طريقة اعتماده على الدلالات الغالبة للأسطورة والرمز. في مقدمة الرواية، يحكي صبور لولده حكاية خرافية عن عفريت يجبر الأب على أن يختار أحد اطفاله ويتخلى عنه لصالحه، يتضح فيما بعد، أنه يشير الى عبدالله. يستخدم المؤلف الأمثلة: زوجة الأب الشريرة، السيد والعبد، الأشقاء (في هذه الحالة أولاد العم) الذين كانوا اصدقاء لكنهم أعداء، إلا أن مهارته تكمن في اكسائهم لحماً وتحويلهم الى أفراد حقيقيين. رغم أن باري تنسى بسرعة العائلة التي ولدت فيها، فإنها تتذكر مقتطفات من أغنية شعبية قديمة كان شقيقها معتاداً على ترديدها.

في قصة صبور الخرافية، يعرض العفريت على الوالد المثكول "نعمة" نسيان ابنه المفقود وعلى الأب أن يقرر: هل أن الأفضل له أن يتذكر حتى لو كان ذلك يسبّب له الألم؟

من خلال الغور في هذه الحقائق عن التجربة الإنسانية، يحفر حسيني عميقاً و يستخرج قطعاً من الماس.

عن الغارديان

"عَدَّاء الطائرة الورقية" لخالد حسيني... بكاءٌ على ولد

"عَدَّاء الطّائرة الورقية" رواية الكاتب الأميركي، الأفغاني الأصل خالد حسيني، صدرت حديثاً في ترجمة عربية عن دار «بلومزبري»، في الدوحة بتوقيع المصري إيهاب عبدالحميد، في ٥٠٧ صفحات، وتتكون من ٢٥ فصلاً. تطرح الرواية إشكاليات المجتمع الأفغاني من حيث الأفكار، والعادات والتقاليد، والصراع القبلي، والجامعات الدينية المتطرفة، كما تطرح الصراع بين الفكر الإسلامي التنويري، وبين مرحلة «طالبان»، وتؤرخ للاجتياح السوفياتي أفغانستان. تنسل بين جنبات الرواية صور ومشاهد ماضوية تحمل آلام الشخصية الأفغانية المسكوت عنها، وتنتصر لمحبة الإنسان وعلاقاته مع الآخرين.

أحمد الصغير

تبدأ الرواية بمشهد حزين عندما يتصل رحيم خان بأمير، بطل الرواية يطلب منه العودة إلى كابول، لأمر مهم، فيقول الراوي: «في أحد أيام الصيف، هاتفني صديقي رحيم خان من باكستان وطلب مني أن آذهب لرؤيته. وأنا أقف في المطبخ والسماعة على أذني عرفت أن من على الخط لم يكن رحيم خان فحسب، بل هو ماضٍ مثقل بذنوب لم يُكفَر عنها». هذا الحوار الداخلي الذي تولد داخل الذات، يشكل في ظني مفتاحاً للولوج في عوالم خالد حسيني، وعوالم أفغانستان بكل ما تحمل من تاريخ وزمكانية موغلة في القدم وماضوية لا تنتهي، بل تجدد آلام العالم، تحمل مشكلات اجتماعية وطائفية بين قبيلتي الباشتون والهزارة، وماضي «طالبان" التي دمّرت كل شيء جميل في هذا البلد. هذا الماضي الذي أشار إليه الكاتب هو مربط الفرس الرئيس الذي تتشكّل من خلاله الرواية، الماضي بكل ما يحمله من مشاعر إنسانية خالصة تكون قاسية أحياناً، ولينة وحميمة في أحايين أخرى. في المشهد الثاني تبدأ الرواية بعبارة دالة على المستقبل، فيقول الراوي: «كنت أنا وحسن، ونحن طفلان، نتسلق أشجار الحور في مدخل دار والدي، ونزعج جيراننا بقطعة مرآة نعكس بها أشعة الشمس داخل بيوتهم». هذه اللقطة السينمائية السريعة يسترجع من خلالها أمير مدى المحبة التي كانت تربطه بصديقه حسن، الذي كان يشاركه كل أفراحه وألعابه ويساعده في مسابقات الطائرات الورقية في كابول.

ترتكز الرواية على بطلين أساسيين هما أمير خان الراوي، وحسن صديقه وخادمه، وسنكتشف في نهاية الرواية أنه أخوه غير الشقيق وغير الشرعي أيضاً.

وتبدو صورة والد البطلين (طوفان خان) كما أطلق عليه رحيم خان، صورة رجل مفكر ينتمي إلى روح التنوير العقلي الذي لا ينخدع كثيراً بأقوال المتطرفين الذين يرهبون الناس، كما أنه يتنبأ خوفاً، عندما يقول: «كان الله في عوننا إذا سقطت أفغانستان في أيديهم». صورة الأب هي صورة تفكير الأفغاني الحقيقي الذي قرأ وتعلّم وأدرك ماهية الحضارة الأفغانية قديماً التي آلت إلى الضياع والشتات والانهيار، ونلاحظ المنطق الفلسفي الذي يتبناه والد أمير جان وهو يقول: "الآن، أيا كان ما يعلمك الملا، هناك إثم واحد فقط، واحد فقط، وهو السرقة، كل إثم آخر سرقة من نوع ما. هل تفهم هذا؟".

إن حديث بابا جان والد أمير يحمل الكثير من الدلالات الاجتماعية التربوية المهمة التي تشي بأن أقبح الأعمال في الحياة هو السرقة، هي فعل قبيح والله يحاسبنا على هذا الفعل وإن كانت السرقة في مفهومها المجازي هنا التي يعنيها بابا جان تختلف عن المفهوم الحقيقي الذي يتداوله الناس في ما بينهم، تبرز صورة الإنسان الخالص الذي يدعو إلى المحبة الصافية بين الناس، فلا يسطو على أفكار غيرهم ولا يسرقون آباء الأطفال أو أمهاتهم، ولا يكذبون على غيرهم لأن الكذب سرقة في إخفاء الحقيقة عن الآخر. تعتمد الرواية أيضاً على لغة إنسانية راقية تكاد تقترب من قلب المتلقي، فلا ترتكن إلى الغموض أو الانغلاق الدلالي أو المعرفي، كما أنها تدل على مدى حنكة خالد حسيني في صياغة مشاهده الروائية من خلال ارتباطها بالزمان والمكان والصراع الدموي بين أمير جان وأصف، رجل طالبان الذي يعاني من مرض نفسي، وشذوذ جنسي، وهو كراهيته لقبائل الهزارة، ومشهد اغتصابه حسن، في حين أن أمير جان أصيب بالجبن ولم يستطع أن يدافع عن صديقه حسن الذي تحمّل من أجله الكثير، فيقول الراوي: «وفجأة همس صوت حسن في رأسي: "من أجلك ألف مرة ومرة، حسن عدّاء الطائرة الورقية، صاحب الشفة الأرنبية"».

إن الهاجس النفسي الذي تسبّب في الألم الذي أحاط بالراوي العليم داخل الرواية هو الذي كان يحرّكه من دون أن يدرك ذلك نحو العودة إلى كابول لإنقاذ سهر أو الطفل الذي أنجبه حسن قبل أن تقتله «طالبان»، وهو يدافع عن بيت بابا جان وأمير جان في كابول: «جلست على مصطبة قرب صفصافة. فكرت في شيء ذكره رحيم خان قبل أن ينهي المكالمة، شيء أشبه بخاطرة راودته، يقول رحيم خان: «ثمة طريقة لتعود صالحاً من جديد».

كان لدلالة هذه العبارة في عقل وصدر قلب أمير جان أثر غائر في النفس، فهي العبارة التي نطقها رحيم خان قبل أن إنهاء المكالمة، وهي التي أرغمته على العودة إلى أفغانستان لإنقاذ الطفل سهراب، على رغم خطورة ذلك على حياته من قِبَل طالبان الحاكمة في ذلك الوقت والتي كانت تتهم كل مَنْ فرّ أثناء حرب السوفيات بالخيانة والعمالة وينبغي قتله والتمثيل بجثته.

ارتكز حسيني على التراث الأفغاني في بنية بعض الأمكنة الأفغانية القديمة أو الفارسية التي يتقنها الهزارة من شعب أفغانستان، وطوّح كثيراً السرد إلى عوالم سيكولوجية بين الفتى أمير وحسن الذي اكتشف بعد رحيل والده ورحيل حسن نفسه إنه كان أخاه غير الشرعي، ولذلك كان بابا الأغا، لا يريد أن يترك علي وحسن في البيت عندما قام أمير بوضع ساعته في فراش حسن واتهمه بالسرقة. ثم مرحلة الهروب من كابول إلى باكستان ومنها إلى الولايات المتحدة الأميركية بحثاً عن ملجأ آمن هناك، وقد التحق الأب بالعمل في محطة وقود، والابن بالمدرسة ومنها إلى الجامعة، وتعرفهم بطاهر باشا، السياسي القديم وزواج أمير بابنته ثريا الأفغانية الأصل، ومعاناة ثريا مع المجتمع الأفغاني الذي يعيش في أميركا من التلسين والغمز واللمز عليها عندما فرت مع شاب أفغاني وعاشت معه فترة من دون زواج.

تنتصر رواية «عدّاء الطائرة الورقية» للإنسانية الخالصة ومحبة الإنسان لأرضه وبلاده على رغم قسوتها وجحيمها الذي ينتظره، والفارق بين التنوير والظلام، بين الحق والباطل، بين صورة الدين المتطرف والدين السمح، وتدافع عن الإنسان عموماً مبتعداً عن العنف والقهر والقتل. وتبقى العلاقة المغلقة الغامضة بين أمير البطل وحسن صديقه (أخيه غير الشرعي) علاقة تحتاج للكثير من التحليل النفسي الذي سيطر على أمير عندما فكر في الانتقام من حسن على رغم حبه الشديد له. هذه العلاقة التي تكسر حواجز البوح، والضياع، وكأن المحب يريد أن يقتل محبوبه كي ينوح على جسده.

عن الحوار المتمدن

حسيني مع الفائزة بنوبل الباكستانية ملالا

وردّدت الجبال الصدى لـ(خالد حسيني)

الخطأ والصواب الاجتماعي في عوالم الحرب في أفغانستان

يارا بدر

قدّم الروائي والطبيب الأفغاني خالد حسيني للعالم تصوّراً مختلفاً، إنسانياً وحقيقياً عن ذاك البلد المسمّى أفغانستان، في روايته الأشهر "ألف شمس ساطعة" التي صدرت عام ٢٠٠٧ وترجمت إلى العديد من لغات العالم، وكأنّه يقدّم بهذا الوجه أفغانستان الجديد، بعيداً عن الصورة التي رسّخها الإعلام طوال سنين الحرب الأميركية على تنظيم "طالبان" ومجاهديه.

أذكر جيداً الخوف الذي تملكني وأنا أقرأ رواية حسيني الثانية بعد «عدّاء الطائرة الورقية» من الكيفيّة التي تحوّلت فيها أفغانستان من دولة يفرض عليها الاتحاد السوفييتي منظومته اليسارية، إلى دولة تسحق فيها المرأة والإنسانيّة بوحشية تحت مُسمّى الجهاد والشرعة الدينية. يومها فكرت بقلق لم أجرؤ على البوح به: هل يمكن أن يحدث هذا لنا؟!

مؤخراً، قامت دار "دال" السورية بترجمة أحدث أعمال "حسيني" بعد وقت يُعتبر قصيراً جداً نظراً لتاريخ الترجمة البائس في البلد وسرعة مواكبته لأحدث المؤلفات العالمية، لنفاجأ كسوريين، بأشياء كثيرة حدثت لنا خلال السنوات الخمس الماضية، حدثت خلال العقود الماضية، وربما ستحدث مستقبلاً، وكأنّ الكاتب يخبرنا: هذا ما حدث لنا، وربما سيحدث لكم يا أصدقاء. هذا ما يحدث في الحروب في كل مكان. في الحقيقة، تبدأ وقائع الأزمة الإنسانية التي يتناولها حسيني في روايته «وردّدت الجبال الصدى» مثل ما هي الحال لدينا، من فقر لا يرحم، من حياة تعيش على الهامش في وسط الرمال لم تزدها السياسات الإقتصادية المرسومة في المدن الكبيرة إلاّ سوءاً وعنفاً.

زمكانية الرواية:

الزمن طويل في الرواية الممتدة على مساحة (٤٦٠) صفحة من القطع المتوسط، يبدأ من حكاية هي خارج الزمن الواقعي، هي حكاية شعبية ربما مُتخيّلة، وربما هي موروث شفاهي، لكنها كل الحكاية. نتجاوز هذا الفصل الذي عنْونه المؤلف بزمن فعل القَصّ (١٩٥٢)، لنبدأ في سلسلة فصول الرواية التي هي حكاية شقيقتين «عبد الله» وأخته الصغيرة «باري»، نبدأ معهم شروق اليوم التالي بعد أن روى الوالد «صابور" لطفليه الحكاية ثمّ ها هم يستعدون في ذاك العام للرحلة التي ستغيّر حياتهم وكأنّه يقدّم بهذا لوجه أفغانستان الجديد، بعيداً عن الصورة التي رسّخها الإعلام طوال سنين الحرب الأميركية على تنظيم «طالبان» ومجاهديه.

وأذكر جيداً الخوف الذي تملكني وأنا أقرأ رواية حسيني الثانية بعد «عدّاء الطائرة الورقية» من الكيفيّة التي تحوّلت فيها أفغانستان من دولة يفرض عليها الاتحاد السوفييتي منظومته اليسارية، إلى دولة تسحق فيها المرأة والإنسانيّة بوحشية تحت مُسمّى الجهاد والشرعة الدينية. يومها فكرت بقلق لم أجرؤ على البوح به: هل يمكن أن يحدث هذا لنا؟!

مؤخرا، قامت دار "دال" السورية بترجمة أحدث أعمال "حسيني" بعد وقت يُعتبر قصيراً جداً نظراً لتاريخ الترجمة البائس في البلد وسرعة مواكبته لأحدث المؤلفات العالمية، لنفاجأ كسوريين، بأشياء كثيرة حدثت لنا خلال السنوات الخمس الماضية، حدثت خلال العقود الماضية، وربما ستحدث مستقبلاً، وكأنّ الكاتب يخبرنا: هذا ما حدث لنا، وربما سيحدث لكم يا أصدقاء. هذا ما يحدث في الحروب في كل مكان. في الحقيقة، تبدأ وقائع الأزمة الإنسانية التي يتناولها حسيني في روايته «وردّدت الجبال الصدى» مثل ما هي الحال لدينا، من فقر لا يرحم، من حياة تعيش على الهامش في وسط الرمال لم تزدها السياسات الإقتصادية المرسومة في المدن الكبيرة إلاّ سوءاً وعنفاً.

زمكانية الرواية:

الزمن طويل في الرواية الممتدة على مساحة (٤٦٠) صفحة من القطع المتوسط، يبدأ من حكاية هي خارج الزمن الواقعي، هي حكاية شعبية ربما مُتخيّلة، وربما هي موروث شفاهي، لكنها كل الحكاية. نتجاوز هذا الفصل الذي عنْونه المؤلف بزمن فعل القَصّ (١٩٥٢)، لنبدأ في سلسلة فصول الرواية التي هي حكاية شقيقتين «عبد الله» وأخته الصغيرة «باري»، نبدأ معهم شروق اليوم التالي بعد أن روى الوالد «صابور" لطفليه الحكاية ثمّ ها هم يستعدون في ذاك العام للرحلة التي ستغيّر حياتهم وكأنّه يقدّم بهذا لوجه أفغانستان الجديد، بعيداً عن الصورة التي رسّخها الإعلام طوال سنين الحرب الأميركية على تنظيم "طالبان" ومجاهديه.

حيواتنا هي الحدث الروائي:

الفعل هو بيع «صابور" لابنته، فعل قام في أوّل فصول الرواية وانتهى، غرق الأب في حزنه وهجر «عبد الله" قريته مدقعة الفقر «شادباغ»، فصول كثيرة تمر حتى عودة ظهور «عبد الله" في الرواية، يمكن أن تدفع بالكثير ممّن يقرأون متسائلين: ماذا حدث؟ لأن يتخلوا عن متابعة القراءة، لكنّ رواية «وردّدت الجبال الصدى» لا تُقرأ على عجل. الأحداث قليلة في هذا السرد الملحمي لمصائر وحيوات متنوعة، يبدو بعضها وكأنّه مقحم على عالم حكاية «عبد الله" وأخته «باري»، لكن ليس كذلك عن حكاية مدينة «كابل» التي سيطر فيها أمراء الحرب، «كابل» التي توقف فيها صوت الرصاص وبدأ صوت مال «إعادة الإعمار" ودفقات المنظمات الإغاثية، يقول «نبي» في رسالته إلى الطبيب «ماركوس» العامل في "كابل" مع بعثة إنسانية: «أستطيع أن أختصر كل ما جرى بكلمة واحدة: الحرب. حروب تناوبها أبطال مفترضون وسفلة، حروب كان كل بطل فيها يوقظ فينا حنيناً إلى سفلة سابقين".

"كابل" التي فقدت أبناءها بلا رجعة، وتبحث لنفسها عن هوية جديدة كما هم يفعلون في غربتهم. ومع تطوّر الزمن وتعاقب الأجيال نكتشف ضعف الأجيال الجديدة في بحثها عن هويتها، في تمرّدها، في السعي خلف أحلامها مقابل سرعة وسهولة استسلامها لما هو متوقع منها. هي رواية عن فكرة الخطأ والصواب، عن العائلة والصداقة، عن علاقة الإخوة بالتحديد، التي لا يحددها حسيني بإطار المفهوم البيولوجي الصارم، فـ"تيمور" وابن عمه «إدريس» كالأشقاء، في غيرة مخيم «جالوزاي" في باكستان ليبحث عن منزل أهله وطفولته فلا يجد له مكاناً في المدينة الجديدة التي رسمها أمراء الحرب وغيلانها. وصولاً إلى «باري» ابنة «عبد الله" التي عاشت كل حياتها في أميركا، حياة رسمها والدها كما تقول «بكل دقة" لتكون حياة الفتاة الأفغانية الصالحة، الشريفة، البارّة بوالديها".

حيواتنا هي الحدث الروائي:

الفعل هو بيع «صابور" لابنته، فعل قام في أوّل فصول الرواية وانتهى، غرق الأب في حزنه وهجر «عبد الله" قريته مدقعة الفقر «شادباغ»، فصول كثيرة تمر حتى عودة ظهور «عبد الله" في الرواية، يمكن أن تدفع بالكثير ممّن يقرأون متسائلين: ماذا حدث؟ لأن يتخلوا عن متابعة القراءة، لكنّ رواية «وردّدت الجبال الصدى» لا تُقرأ على عجل. الأحداث قليلة في هذا السرد الملحمي لمصائر وحيوات متنوعة، يبدو بعضها وكأنّه مقحم على عالم حكاية «عبد الله" وأخته «باري»، لكن ليس كذلك عن حكاية مدينة «كابل» التي سيطر فيها أمراء الحرب، «كابل» التي توقف فيها صوت الرصاص وبدأ صوت مال «إعادة الإعمار" ودفقات المنظمات الإغاثية، يقول «نبي» في رسالته إلى الطبيب «ماركوس» العامل في "كابل" مع بعثة إنسانية: «أستطيع أن أختصر كل ما جرى بكلمة واحدة: الحرب. حروب تناوبها أبطال مفترضون وسفلة، حروب كان كل بطل فيها يوقظ فينا حنيناً إلى سفلة سابقين".

"كابل" التي فقدت أبناءها بلا رجعة، وتبحث لنفسها عن هوية جديدة كما هم يفعلون في غربتهم. ومع تطوّر الزمن وتعاقب الأجيال نكتشف ضعف الأجيال الجديدة في بحثها عن هويتها، في تمرّدها، في السعي خلف أحلامها مقابل سرعة وسهولة استسلامها لما هو متوقع منها. هي رواية عن فكرة الخطأ والصواب، عن العائلة والصداقة، عن علاقة الإخوة بالتحديد، التي لا يحددها حسيني بإطار المفهوم البيولوجي الصارم، فـ"تيمور" وابن عمه «إدريس» كالأشقاء، في غيرة أحدهما من الآخر، في ندّية أحدهما للآخر، وفي ارتباط أو تخلّي أحدهما عن الآخر، كما «معصومة" وشقيقتها «بروانة»، وقد يكون الشقيق حاجة ومُتخيّلا كما تقول الابنة «باري»: "أمضيت معظم سنواتي الأولى أتحرّق شوقاً لشقيق أو شقيقة. شقيق أحبّه بكياني كله ودونما تفكير، وأرى في وجهه نفسي".

هذه الفكرة «أرى في وجهه نفسي» قد تكون قوام لعبة حسيني الأساسيّة في عرضه لفكرة الخطأ والصواب في زخم سردي يُرهق القارئ بغنى تشابهه وتماسك عباراته، بناء السرد هنا قوامه التضاد، التضاد بين نوايا الشخوص ونتائج أفعالها، بين حسناتها وقبحها، بين صوتها وصوت الآخر، بين الكلمات والأفعال. يقوم التضاد حيناً حتى في بُنية الجملة الواحدة وصياغتها «وإنني أتكلّم في فراغ عابر للقارات»، «ما أرادته باري من أمها هو أن تساعدها في تجميع شذرات ذكرياتها المتفرقة، تركيب مكنونات ذاكرتها المبعثرة".

بنيويّاً يعتمد حسيني تقنيّة تعدّد أصوات القص، فكلّ يروي بحسب معرفته وبحسب الرؤية التي يقدّمها له موقعه في المكان والزمان. وكل فصل أشبه بما يكون بقصة قصيرة عن حياة شخصية ما، تتعرّف إليها، إلى أفعالها، ونرى نتائج أفعالها في صوت الآخرين من حولها، أو نرى الآخرين بحسب تقديمها، ففي أحد الفصول هو وحده «ماركوس» يتكلم وفي فصل آخر هو «إدريس» أو «باري الابنة" وفي فصل هما صوتان ينقلهما بأمانة صوت واحد، كما في رسالة «نبي» وقد تكون ثلاثة أصوات في فصل واحد، صوت المراسل وصوت «نيلا» وصوت «باري»، وهكذا نرى الصورة الأوسع التي تضم في إطارها العام هذه الحياة الإنسانيّة بقسوتها أو زخمها، ونحن مُجَرّدين من معرفة لم ترغب الشخصيات بمنحها لنا، محددين بمّا اختارت هذه الشخصيات أن تبوح به، لكن في النهاية نرى أنفسنا في وجه تلك الشخوص، مزيج شديد التعقيد من حيوات كان المجتمع وكانت الحرب وكانت الذكريات مؤلفها.

عن/ القدس العربي

خالد حسيني تدوين سيرذاتي بتقانات الرواية

مروان ياسين

بسبب الحروب التي عاشتها افغانستان تراكمت ظلال ثقيلة فوق الأدب الافغاني المعاصر، فانقطعت أخباره عن العالم الخارجي وبات في عزلة شبه تامة منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي، عندما اجتاح جيش الاتحاد السوفياتي السابق الأراضي الافغانية عام ١٩٨٠ لمساندة النظام الشيوعي الحاكم بزعامة الرئيس بابراك كارمال، حال شعوره بخطر السقوط بأيدي الجماعات الاسلامية المسلحة. سنوات الحرب الطويلة المهلكة بكل ضراوتها وبشاعتها وتقلباتها الدراماتيكية وما نتج عنها من دمار شامل عصف بكل جوانب الحياة، لم تترك أيّة فرصة سانحة لمن يهتم بالشأن الثقافي، التفكير بقراءة عمل أدبي أفغاني جديد، خاصة بعد سيادة وهيمنة الاحزاب الاسلامية بكل تنوعاتها واختلافاتها التي لاتتعدى حدود التسميات والعناوين الشكلية، والتي تعكس في واقع الحال طبيعة انتماءاتها القبلية والاثنية والطائفية، لكنها في مقابل ذلك ومن حيث الجوهر، تنطلق من أرضية فكرية واحدة أساسها القرآن والسنة المحمدية كما تدّعي وتسوّق في خطاباتها.

عدّاء الطائرة الورقية وسط زمن مُرّ كهذا، مُلبّد بدخّان الحروب، وسلطة أحزاب اسلاميّة متشددة ومتطرفة في تأويلاتها الفقهية والإجرائية غالباً ما تأتي وفق هوى ورعونة زعمائها من أمراء الحرب، لايمكن أن يتوقع المرء نموّ أدب ينصف حرية وكرامة الانسان وتتوفر فيه رؤى فنية متقدمة. لكن، عندما تقرأ رواية "عدّاء الطائرة الورقية" للكاتب الأفغاني خالد حسيني التي صدرت بطبعت أولى مترجمة الى اللغة العربية عام ٢٠١٠ وروايته الثانية "ألف شمس ساطعة" التي صدرت هي الأخرى بطبعة اولى مترجمة الى اللغة العربية عام ٢٠١٠ أيضاً، لابد أن تكون أمام خيار وحيد يدعوك لأن تعيد النظر فيما تشكّل لديك من قناعات غير دقيقة حول الأدب الأفغاني الذي حَجَبَتْه عنّا لعلعة الرصاص وصور المعارك الدموية التي استمرت لأكثر من ثلاثة عقود، شاءت فيها قوى دولية كبرى. في المقدمة منها أميركا ـ أن يستمرّ الصراع الدموي بين المرأة "الرجل، الموت "الحياة، الوطن "المنفى، ولعلّ ما يميّزها ويكسبها هذا الحضور المؤثر، أنّ معظم شخصياتها الرئيسة هي شخصيات نسائية مريم، ليلى، نانا، جيتي، حسينة، مامي، عزيزة رغم أهميّة وعمق الشخصيات الرجالية التي صاغها المؤلف وشكّل بها تفاصيل ملحمته الفنية جليل، طارق، رشيد، فايز الله. بينما هيمنت الشخصيات الرجالية بشكل كامل على رواية "عدّاء الطائرة الورقية" أمير، حسان، بابا، علي، أصف، كمال، جنرال تاهيري وتراجعت الشخصيات النسائية الى الخلفية الصورة. "ألف شمس ساطعة" من يقرأ روايتا خالد حسيني سيجد أن الكاتب قد شحنهما بعواطف ومشاعر انسانية ومنظمات ومؤسسات دولية بعدم نسيغها والحفاظ عليها لأنها تشكّل جزءاً مهماً من التراث الحضاري الإنساني. أعمال كبيرة في حقبة مظلمة شديدة العتمة مثل التي عاشتها افغانستان طيلة ثلاثة عقود، كيف يمكن للأدب أن ينمو ويزدهر طالما هو نشاط انساني يتحرك في فضاء الحرية الفكرية يكشف المبدع من خلاله عن المخبوء والمقموع في ذات الإنسان، وهو يعمل ويفكر ويكافح من أجل غد أكثر أماناً وسعادة؟ روايتا "عدّاء الطائرة الورقية" و"ألف شمس ساطعة" لخالد حسيني، لاتخرجان عن إطار الأعمال الكبيرة الخالدة التي تبقى حاضرة ومؤثرة في الذاكرة الإنسانية رغم تقادم الزمن عليها، ذلك لأنها تنصف الإنسان وكرامته وهو يخوض بكل ضعفه وإرادته وفطرته الانسانية صراعاً مريراً غير متكافئ ضدّ قوى همجية عمياء لا تتردد أبداً من أن تقود البلاد والعباد الى مصير بائس لايليق بادميّة الإنسان وأمنياته البسيطة في العيش بحرية وأمان.

ولكي لاتصل الحكاية الافغانية الى طريق مسدود كما أرادها ويريدها أبداً أمراء الحرب، تأتي رواية "ألف شمس ساطعة" وقبلها "عدّاء الطائرة الورقية" لتحديد وتقييم العلاقة مع الماضي قبل استعادته والذهاب به الى أبعد مايكون الفقهية غالباً ما تأتي وفق هوى ورعونة زعمائها من أمراء الحرب، لايمكن أن يتوقع المرء نموّ أدب ينصف حرية وكرامة الانسان وتتوفر فيه رؤى فنية متقدمة. لكن، عندما تقرأ رواية "عدّاء الطائرة الورقية" للكاتب الأفغاني خالد حسيني التي صدرت بطبعت أولى مترجمة الى اللغة العربية عام ٢٠١٠ وروايته الثانية "ألف شمس ساطعة" التي صدرت هي الأخرى بطبعة اولى مترجمة الى اللغة العربية عام ٢٠١٠ أيضاً، لابد أن تكون أمام خيار وحيد يدعوك لأن تعيد النظر فيما تشكّل لديك من قناعات غير دقيقة حول الأدب الأفغاني الذي حَجَبَتْه عنّا لعلعة الرصاص وصور المعارك الدموية التي استمرت لأكثر من ثلاثة عقود، شاءت فيها قوى دولية كبرى. في المقدمة منها أميركا ـ أن يستمرّ الصراع الدموي بين المرأة "الرجل، الموت "الحياة، الوطن "المنفى، ولعلّ ما يميّزها ويكسبها هذا الحضور المؤثر، أنّ معظم شخصياتها الرئيسة هي شخصيات نسائية مريم، ليلى، نانا، جيتي، حسينة، مامي، عزيزة رغم أهميّة وعمق الشخصيات الرجالية التي صاغها المؤلف وشكّل بها تفاصيل ملحمته الفنية جليل، طارق، رشيد، فايز الله. بينما هيمنت الشخصيات الرجالية بشكل كامل على رواية "عدّاء الطائرة الورقية" أمير، حسان، بابا، علي، أصف، كمال، جنرال تاهيري وتراجعت الشخصيات النسائية الى الخلفية الصورة. "ألف شمس ساطعة" من يقرأ روايتا خالد حسيني سيجد أن الكاتب قد شحنهما بعواطف ومشاعر انسانية

لاتجدها إلاّ في الأعمال العظيمة التي تنداح فيها خليط من المشاعر الإنسانية الحب، البطولة، الخيانة، الحقد في بيئة مغرقة بالمحلية وبتفاصيل دقيقة، وكأننا ذاكرة المؤلف "السارد" الشخصية الرئيسة تعمل بكل استدعاءاتها من أجل الحفاظ على مخزون الذاكرة الى يوم بعيد سيأتي، فكانت تجليات السرد الروائي في العملين المذكورين قائمة على ماتصبو إليه ذات المؤلف في بناء مساره السردي ضمن إطار الذاكرة والمكان والذاكرة والشخصيات، مثلما هذا المقطع من "ألف شمس ساطعة" الذي يأتي على لسان الراوي والمتعلق بوصف جليل لأبنته مريم لدار السينما التي يملكها في المدينة.. وصف لها السينما. لذلك فإنها تعلم أن واجهة السينما مصنوعة من قرميد أزرق وبرونزي، وهناك شرفات خاصة، وعوارض خشبية مثبّتة على السقف، أبواب تفتح من الجهتين تؤدي إلى صالة حيث إعلانات الأفلام الهندية مغلّفة بزجاج شفاف، وفي أيام الاثنين، يحصل الاولاد على مثلجات بالمجان في جناح التنزيلات. قد تخرج القراءة الأولى لهذين العملين على أنهما يقعان ضمن إطار الاعمال السيرذاتية. مع أننا نتفق مع ماجاء به د. خليل هيّاس من رأي في دراسته القيّمة والمعنونة سيرة جبرا إبرّاهيم جبرا الذاتية، في البئر الأولى وشارع الأميرات لا تختلف السيرة الذاتية بوصفها نصاً حكائياً عن غيرها من الأنواع الأدبية في تعددية استعمال الضمائر في السرد، فهي قد تروي بضمير المتكلم المفرد أو أن الراوي يتوجه بالخطاب إلى ضمير المخاطب المفرد أو أن يتحدث عن البطل بضمير الغائب المفرد. كما في هذا النموذج من "عدّاء الطائرة الورقية" حسّان كان ممددا على صدره، موثوقا إلى الأرض، أمسك كل من كمال ووالي بأحد ذراعيه، ملويتين عند المرفق بحيث أصبحت يدا حسان ملتصقتين بظهره، كان أصف يقف فوقهما، كعب حذائه اللثجي يسحق رقبة حسان، أبـاك لن يَعْلَمْ، قـال أصـف، وليس هنـاك شـيء خاطئ في تعليم حمار وقـح درساً في الأخـلاق. تمتم والي، لا أدري. كما تريد، قال أصفُ، والتفت إلى كمـال، ماذا عنـك؟ أنا.. حسنـاً. إنه فقط هـازارا، قال أصف، ولكن كمـال بقي ينظر بعيداً، حسنـاً، قـال أصـف، كل ما أريد أن تقوما به أيها الاصفيـان أن تبقيـاه ثابتا. هـل تستطيعا القيام بذلك؟ هـزّ والي وكمال رأسيهما، والراحة تبدو عليهما. ركع أصف خلـف حسّان، وضع يديـه على وركِ حسان، ورفع إليتيه العاريتين، ثم ترك يداً على ظهر حسّـان وفـكّ حزامه باليد الأخـرى، ثم أنزل سحّابه، وخلع لباسه الداخلي، ثـم توضّع خلف حسّان، لم يقـاوم حسّان، لم يصدر أي صوت حتى، فقط حرك رأسه قليلاً، فرأيتُ وجهه، رأيت الاستسلام بـه، كانت نظرة لم أرهـا من قبل، كانت نظرة النعجـة. هاتان الروايتـان أخذتـا تجنيسهمـا من التقانات الروائيـة التـي لجـأ إليهـا المؤلـف، لتلتقي بالتالي مع ما أشار إليه عبد السلام المسدّي، بأنّ السيرة الذاتية إنما هي حصيلة امتزاج نوعين من الكتابة التدوين التأريخي والحكاية الفنية ونتفق هنا مع هذه الرؤية النقدية الى حد كبير، إذ لافرق بين الرواية بشكل عام ورواية السيرة الذاتية من حيث طرق الكتابة.

إلاّ أن قراءة نقدية للعملين المذكورين تجعلنا نصل الى أنهما لاينتميان من حيث التصنيف الاكاديمي الى أعمال السيرة الذاتية لعدم توفر التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية المركزية، ولكن يبقى الإشكال قائماً ومرجّحاً فيهما لدى من يدقّق مرة أخرى في المقاييس الفنية التي تشير الى التفريق والتصنيف بين الأجناس. تم تحويلها من قبل إحدى شركات الانتاج السينمائي. الحكاية تبدأ عندما استقطت مريم طقم شاي صينياً وكان عمرها آنذاك خمسة أعوام، فسمعت للمرة الأولى كلمة إبنة حرام من والدتها نانا، التي ثارت بوجهها وأمسكتها من الرسغين وسحبتها إليها، ومن خلال أسنانٍ تصرُّ قالت لها إنك ابنة حرام خرقاء صغيرة، هذا جزائي عن كل شيء تحملته، ابنة حرام خرقاء صغيرة بالوراثة. في ذلك الوقت لم تفهم مريم مامعنى هذه الكلمة، إبنة حرام، ولم تكن كبيرة كفاية لتدرك عدم العدالة في ذلك، ولترى أن مخترع هذه الكلمة هو أبن الحرام الذي يستحق اللوم، وليس أبن عائلته وتحمّل مسؤولية ما قام به. بل تم التعامل مع نانا وكأنها عشية ضارة ينبغي أن تقتلع لترمى جانباً. فكان الاختيار أن تعيش في منطقة خالية وسط الحقول، حيث بنى جليل والدتان من ابنائه بيتاً صغيراً من الآجر المجفف بأشعة الشمس وغطوه بالطين والقش. ولتختار هي فيما بعد نهاية لحياتها بعد أن تجد ابنتها مريم التي كانت قد تحملت كل المصاعب من اجلها تخرج عن وصيتها وتذهب لزيارة والدها في بيته. الرواية تتألف من أربعة اقسام، الأول استحوذت عليه شخصية مريم، والثاني ليلى المغرمة بأبن الجيران طارق، والقسم الثالث تتقاسمها مريم وليلى والرابع يستحوذ عليه شخصية طارق.

وقد سقطت هذه الولاية بيد حركة طالبان المتطرفة في أيلول عام ١٩٩٥، وتعرضت مبانيها التاريخية الضخمة للتدمير الجزئي والكلي خلال الحروب.. أخبرها والدها أيضاً عن الملكة "كوهارشاد" التي رفعت المآذن المشهورة كعربون محبة لهيرات في القرن الخامس عشر. كما وصف لها حقول الحنطة الخضراء لهيرات والبساتين المجللة بالعنب المكتنز، حيث المدن مكتظة والاسواق صاخبة. لم تكن نانا سوى إحدى مدبّرات منزل السيد جليل الذي يُعد من أهم رجالات ولاية هيرات من ذوي النفوذ، فبالإضافة الى دار العرض السينمائي التي يمتلكها، كان يملك أرضاً في منطقة كاروك وأخرى في فرح وثلاثة متاجر للسجاد ومحلاً للألبسة وسيارة بويك سوداء حديثة موديل ١٩٥٦. كانت نانا إحدى مدبّرات منزله في منتصف خمسينات القرن الماضي، الذي تعيش فيه زوجاته الثلاث واولاده وبناته التسع حتى أنتفخ بطنها، عندها طالبت الزوجات برميها خارجاً. فما كان من والدها الذي كان يعمل في قطع الحجارة إلاّ أن يتبرأ منها واحتقرها، ومن ثم ليغادر بالباص إلى ايران ولم ير أو يُسمع عنه شيئاً مرة أخرى. حتى أنها كانت تخاطب نفسها أحياناً عندما كانت تطعم الدجاج خارج المنزل أحياناً، أتمنى لو كان أبي لديه الجرأة ليشجد سكاكينه، والقيام بأشرف عمل، ربما كان هذا أفضل لي. حتى جليل لم يمتلك الجرأة أيضاً للقيام بعمل نبيل والوقوف في وجه عائلته وتحمّل مسؤولية ما قام به. بل تم التعامل مع نانا وكأنها عشية ضارة ينبغي أن تقتلع لترمى جانباً. فكان الاختيار أن تعيش في منطقة خالية وسط الحقول، حيث بنى جليل والدتان من ابنائه بيتاً صغيراً من الآجر المجفف بأشعة الشمس وغطوه بالطين والقش. ولتختار هي فيما بعد نهاية لحياتها بعد أن تجد ابنتها مريم التي كانت قد تحملت كل المصاعب من اجلها تخرج عن وصيتها وتذهب لزيارة والدها في بيته. الرواية تتألف من أربعة اقسام، الأول استحوذت عليه شخصية مريم، والثاني ليلى المغرمة بأبن الجيران طارق، والقسم الثالث تتقاسمها مريم وليلى والرابع يستحوذ عليه شخصية طارق.

عَدَّاء الطائرة الورقية لـ (خالد حسيني)...

رواية تُمجّد الضعف الإنساني

يحيى البطاط

"السرقة هي الخطيئة الوحيدة التي لا يمكن غفرانها. الخطيئة الأكبر بين كل الخطايا. عندما تقتل رجلاً، فأنت تسرق حياة، تسرق حق الزوجة بزوج، تسرق أباً من أولاده، عندما تكذب، تسرق حق شخص في الحقيقة، عندما تغش، تسرق حق العدالة، ليس هناك شر كالسرقة."

كل رواية حرب هي بالضرورة رواية عن الحياة، إن ما يشدّنا إلى قصص الحرب ليس البطولة في المواجهة، بل الشجاعة في لحظات الضعف الإنساني، الشجاعة في مواجهة الحياة في لحظاتها الفاصلة، وتقلباتها العدمية، هذا ما أظنه الأجدر بالدرس الروائي، فكل لحظة في حياة الناس المسحوقين بطاحونة الحرب هي خلاصة للوجع الإنساني الأزلي منذ تشكّل الوعي بوجودنا ككائنات عاقلة أو مفكرة أو مدركة لكينونتها في الأقل..

رواية "عدّاء الطائرة الورقية" أول أعمال المؤلف خالد حسيني، ذي الجذور الأفغانية والأميركي الجنسية، تقدم نموذجاً بهذا المعنى، ورغم أنها رواية بسيطة في بنائها الفني ومتواضعة في تقنياتها السردية، لا تتحلق، ولا تحمل أبطالها مقولات لفظية فوق طاقتهم، فهي رواية مشاعر إلى حد كبير، رواية أحاسيس وندم وخوف وريبة وخيبات أمل وضعف.. رواية صادقة فنياً، تلامس الحس الإنساني الفطري في وجودنا، وأظن أن هذا أحد أسباب نجاحها شعبياً، فقد طبع منها في الولايات المتحدة أكثر من سبعة ملايين نسخة وتصدرت قائمة النيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً لعدّة أسابيع، وبيع منها أكثر من سبعة ملايين نسخة في الولايات المتحدة، منذ صدورها أول مرة عن دار ريفرهيد الأميركية عام ٢٠٠٣. وتم تحويلها إلى فيلم سينمائي عام ٢٠٠٧. كما ترجمت إلى مختلف لغات العالم ومنها العربية في عام ٢٠١٢ بترجمة ايهاب عبد الحميد، وبيعت منها أكثر ٢٢ مليون نسخة حول العالم.

"عدّاء الطائرة الورقية"، نموذج للرواية الشعبية التي تتسلل بخفة وعذوبة إلى قلوب الناس وتحرك مشاعرهم من دون استجداء. يصحبنا خلالها خالد حسيني في رحلة إلى أفغانستان منذ أواخر العصر الملكي مروراً بالاحتلال السوفيتي وحتى صعود حركة طالبان واستيلائها على الحكم.

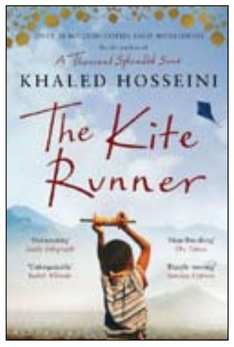

تتعرض أحداثها لعلاقة صداقة تنشأ بين صبيين يشبّان معاً في كابول، في دار واحدة، ولكنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين.. "أمير" ابن رجل الأعمال الثري، وحسان ابن خادمهم الذي ينتمي إلى طائفة الهزارة، الأقلية العرقية والطائفية المنبوذة. غير أن الأسرة الغنية تتفكك بعد الغزو السوفييتي لأفغانستان، ويهرب "أمير" وأسرته بحثاً عن حياة جديدة في الولايات المتحدة، غير أن الفتى أمير يبقى مطارداً بالأسرار المخزية والذنوب وعذابات الضمير، حتى بعد فراره من الحرب هو وأسرته.

"عدّاء الطائرة الورقية" رواية سيريّة ذات امتداد زمني أفقي، تفاصيلها واضحة، وسردها مباشر، تتحدث عن قيم أزلية كالصداقة، والخيانة، والوفاء، والتمييز العرقي والطائفي والطبقي في مجتمع شرقي يتسلط عليه الفكر الديني، وتبرر فيه أبشع الخطايا من خلال نصوص جاهزة مقدّسة، في مجتمع تعرض للتفكيك والقتل، وبلد عانى التدمير المنهجي على مدى نصف قرن، غير أن المؤلف استطاع ببساطة أن يسلط الضوء على عراقة ثقافة الأفغان وعمق إيمانهم بالحياة من دون أن يغفل أمراضهم القاتلة أيضاً.

يصف خالد حسيني الكتاب، بأنه قصة عن العلاقات الأسرية في بيئة ملتهبة بحرب تبدو أزلية كالبيئة الأفغانية التي نهشها الخراب لعقود، غير أني أراها رواية تقف إلى جانب الضعف الإنساني، وتمجّده بوصفه الضوء الأخير الذي يقود إلى الخلاص.

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني
خالد خضير

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

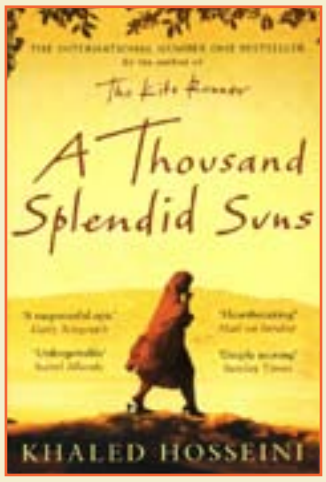

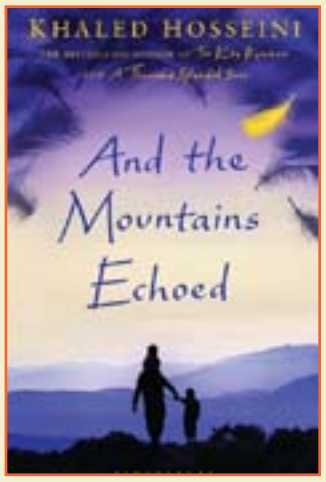

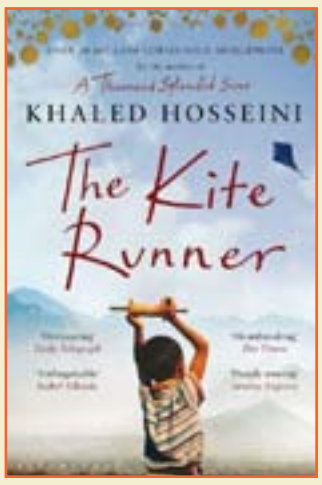

خالد حسيني والروايات الساطعة

علي حسين

يكتب كونديرا، أحد فرسان الرواية الحديثة، أن الكتابة بالنسبة للكاتب تعني تحطيم جدار يختفي وراءه في الظلام شيء ثابت (الحكاية). لهذا (وبسبب هذا الكشف المفاجئ والمدهش) فإن "الرواية" تنفذ إلينا بوصفها انبهارا. قرأت في الأيام الأخيرة روايات الكاتب الإفغاني خالد حسيني، انتهيت من عدّاء الطائرة الورقية، ثم روايته الثانية "ألف شمس ساطعة"، وبدأت أقرأ روايته الأخيرة و "ردّدت الجبال الصدى"، واسمحوا لي أن أقول إنني شعرت بهزّة عميقة، لقد كنت مبهوراً وأنا اتابع مصائر الأبطال الذين لايختلفون كثيراً عن أناس عشنا معهم خلال الأربع عشرة سنة الماضية، وقد سحرني الكاتب وهو يقدّم لي وصفاً لما فعلته أحزاب الإسلام السياسي في افغانستان لايختلف كثيراً عما جرى لهذه البلاد.

خالد حسيني الطبيب الذي وجد نفسه بحاجة الى اعادة رواية تاريخ حياته، كتب عن افغانستان البعيدة عنه، ولم يخطر له وهو ينتهي من روايته الأولى "عدّاء الطائرة الورقية" أنه سيحظى بناشر. كانت أفغانستان بلداً بعيداً عنه، مجهولاً للعالم حتى ظهرت طائرات بن لادن في سماء أميركا في أيلول عام ٢٠٠١. عارضت زوجته نشر الرواية بعدما قرأتها، خوفاً من أن يفهم ما كتبه زوجها خطأ، وقالت له إنها تخشى أن يعتقد البعض أنه يستغل مأساة شعبه لمنفعته الشخصية. ولم يتخيل أحد أن "عدّاء الطائرة الورقية" ستبيع أكثر من أربعين مليون نسخة وتترجم الى ٧٠ لغة، رواية ساحرة مثلما كتبت ايزابيل الليندي، وهي تتحدث عن الإخوة والصداقة والرغبة في أن تكون إنساناً طيباً قادراً على النظر في المرآة، والإحساس باحترام الإنسان لذاته.

روايتاه التاليتان "ألف شمس ساطعة"، "وردّدت الجبال الصدى" دخلتا أيضاً لائحة الأكثر مبيعاً، وتجاوزت المبيعات الأربعين مليوناً، أيضاً أنشأ من إيرادات كتبه مؤسسة خيرية في أفغانستان ترعى اليتامى واللاجئين.

يقول لمراسل الغارديان، إنه لايكتب عن أفغانستان بقصد شرح الأوضاع فيها، وإنما لكي يمتّن العلاقة بين القارئ وبلد بعيد أسمه أفغانستان.

إذا كنت أنا منبهراً بما كتبه هذا الطبيب الأفغاني ومتحمساً له، وإن كنت اتمنى على الجميع قراءة أعماله، لأني أعتقد اننا بحاجة الى أدب عراقي بهذا المستوى، لا أطالب بتقليد خالد حسيني، لأنه مثال رائع للأديب الذي يحمل قضية بلاده وشعبه، وإنما لأنني أشعر أن في هذه البلاد روايات وحكايات يمكن أن تجعل من الرواية العراقية تأخذ مكانها الحقيقي في لوائح الكتب الأكثر مبيعا.

من هو خالد حسيني؟

ولد خالد حسيني في العاصمة الأفغانية كابول بتاريخ ٤ آذار عام ١٩٦٥. كانت عائلته مؤلفة من والدين وخمسة أطفال.

كان والده، يعمل في المجال الدبلوماسي في وزارة الخارجية الأفغانية في كابول، أما والدته فكانت معلّمة مختصة بتدريس اللغة الفارسية في إحدى مدارس البنات الثانوية. وكان كلا الأبوين ينحدر من أصول طاجيكية وبشتونية، وكان مسقط رأسيهما مدينة هراة الأفغانية.

ترعرع حسيني في كنف عائلة موسرة الحال، إذ قضى زهاء ٨ سنوات من طفولته في حي وزير أكبر خان، أحد أثرى المناطق في العاصمة كابول.

ويؤكد حسيني، أن شقيقته رية لم تعان أي اضطهاد في تلك الفترة نتيجة لكونها أنثى؛ فقد كانت كابول آنذاك مدينة متحررة ومزدهرة، وقد اعتاد حسيني أن يشارك أبناء عمه اللعب بالطائرات الورقية.

في عام ١٩٧٠، انتقل خالد حسيني مع أسرته إلى إيران، حيث عيّن والده هناك للعمل في السفارة الأفغانية في طهران.

ولكن بعد ٣ أعوام، عادت العائلة مرة أخرى إلى كابول.

وفي عام ١٩٧٦، عُيّن والده في وظيفة دبلوماسية في العاصمة الفرنسية باريس، فانتقلت العائلة للإقامة هناك، بيد أنها لم تتمكن من العودة مرة أخرى إلى أفغانستان بسبب قيام ثورة عام ١٩٧٨، والتي استولى بموجبها الحزب الشعبي الديمقراطي الأفغاني على السلطة في البلاد.

وبعد مرور فترة وجيزة على نشوب الحرب التي شنها الاتحاد السوفييتي على أفغانستان، سعت عائلة حسيني لنيل اللجوء السياسي في أميركا، وهو ما تحقق لاحقاً، فانتقل خالد مع أسرته للإقامة في مدينة سان خوسيه بولاية كاليفورنيا.

درس خالد حسيني في إحدى المدارس الثانوية في سان خوسيه، وتخرج منها عام ١٩٨٤. وبعدها التحق بجامعة سانتا كلارا، حيث حاز شهادة البكالوريوس في علم الأحياء عام ١٩٨٨؛ وفي العام التالي دخل كلية الطب في جامعة كاليفورنيا، لينال شهادة الماجستير عام ١٩٩٣.

في عام ٢٠٠٣، أصدر خالد حسيني روايته الأولى "عدّاء الطائرة الورقية" والتي تحكي قصة صبي صغير اسمه أمير، يبذل قصارى جهده لإقامة علاقة أمتن مع والده، ويحاول معالجة إحدى ذكريات طفولته التي ما زالت تستأثر بتفكيره ومخيلته.

تدور أحداث الرواية في أفغانستان في الفترة التي أعقبت سقوط النظام الملكي في البلاد وحتى انهيار حكم طالبان فيها، كذلك تقع بعض الأحداث في منطقة خليج سان فرانسيسكو، وتحديداً في مدينة فريمونت بولاية كاليفورنيا.

حققت رواية "عدّاء الطائرة الورقية" ثالث أفضل مبيعات في الولايات المتحدة الأميركية لعام ٢٠٠٥، كذلك جرى إصدار نسخة مسموعة من الرواية بصوت المؤلف نفسه.

وفي عام ٢٠٠٧، جرى إنتاج فيلم مقتبس من أحداث الرواية ويحمل الاسم ذاته، في عام ٢٠٠٧، نشر خالد حسيني روايته الثانية بعنوان "ألف شمس ساطعة" تدور أحداث الرواية في أفغانستان أيضاً، وهي تعالج عدة قضايا تطرّق إليها حسيني في روايته الأولى، ولكنها تطرح تلك القضايا من منظور نسائي.

تتمحور فصول الرواية حول قصة امرأتين هما مريم وليلى، وتتابع أحداث حياتهما المتشابكة. تجري الأحداث في الفترة الزمنية المضطربة التي سادت أفغانستان لمدة ثلاثين عاماً، خلال الانتقال من مرحلة الاحتلال السوفييتي إلى سيطرة طالبان، ومن ثم مرحلة ما بعد طالبان وإعادة إعمار البلاد.

أصدر خالد حسيني روايته الثالثة بعنوان "وردّدت الجبال الصدى" بتاريخ ٢١ أيار عام ٢٠١٣. تختلف هذه الرواية عن الروايتين السابقتين، إذ تجنب حسيني التركيز على شخصية واحدة بعينها، وحاول جعلها أشبه ما تكون بقصص قصيرة يرويها عبر فصول الرواية التسع. لاقت هذه الرواية نجاحاً كبيراً على غرار سابقاتها، وحققت نسبة مبيعات كبيرة.